سبع مائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من
عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوجة اوريا مائة وقد نبه على ذكره في
الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه صلى الله
عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة
البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس بعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع
مدح الخمول وذم العلو في الارض وقد كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره و
قضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا
مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد
فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ
النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل
نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما يختلف الحالات
في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند
العامة لاعتقادها توصله به لحاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في
نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا في حاجاته ومهماته ومهمات من اعتراه وامله
وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار
الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه

او عدم الشهرة

بكلام

عاد

عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة
بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته
عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا
لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا
ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض اذ ما
بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له
فكانه ليس بيده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده
من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي
خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح
عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام
والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا
بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما
بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا
يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة
فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما
تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه وكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليس من خصال الشرف والجلالة
وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه
لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع
ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير
آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فتركه ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة

من اغراضه

King Saud University
Copyright © King Saud University